دلالة الأصوات في ألفاظ الحدود الشرعية: دراسة صوتية

م.د. عبد السلام محمد خلف
كلية التربية/ جامعة الفلوجة
abdul-salam.m.khalaf@uofllujah.edu.iq

الملخص:
تستكشف هذه الدراسة العلاقة بين البنية الصوتية لألفاظ الحدود الشرعية في القرآن الكريم والسنة النبوية ودلالاتها النفسية والتشريعية، مستندة إلى إطار نظري يجمع بين التراث العربي الإسلامي وعلم الأصوات الحديث. تُركز على الرمزية الصوتية والأيقونة الصوتية، موضحة كيف تُسهم خصائص الأصوات، كالجهر، والشدة، التفخيم، والإطباق، في تعزيز الدلالات الزجرية والترهيبية المتوافقة مع مقاصد الشريعة في الردع والتأديب. وتعتمد الدراسة منهجًا تحليليًا صوتيًا ووصفيًا مقارنًا، مستفيدة من إسهامات سيبويه وابن جني ومفاهيم اللسانيات الإدراكية. من خلال تحليل ألفاظ الحدود، كما تُبرز وجود أنماط صوتية متكررة، كالأصوات المفخمة والشديدة، التي تولد إيقاعات تعكس الحسم والجدية، مما يعزز التأثير النفسي والقانوني للنص. وتُجري الدراسة مقارنة بين هذه الألفاظ وألفاظ الرحمة والعفو لإظهار خصوصية البنية الصوتية الحدية ذات الثقل والحدة، على عكس الأصوات الرخوة في الألفاظ التسامحية. مما تُظهر النتائج أن اختيار الألفاظ الحدية مدروس لغويًا، مرتبط بالوظيفة التشريعية والنفسية، حيث تُسهم الأصوات في تشكيل صورة ذهنية تعزز هيبة الحكم الشرعي.
الكلمات المفتاحية: دلالة الأصوات، ألفاظ الحدود، الرمزية الصوتية، الأيقونة الصوتية.

Abstract:
This study explores the relationship between the phonetic structure of terms related to Islamic legal punishments (ḥudūd) in the Qur’an and the Prophetic Sunnah and their psychological and legislative implications, grounded in a theoretical framework that integrates classical Arabic-Islamic heritage with modern phonetics. It focuses on sound symbolism and phonetic iconicity, elucidating how phonetic features such as voicing, intensity, emphasis, and closure enhance the deterrent and admonitory connotations aligned with the objectives of Islamic law in deterrence and discipline. The study adopts an analytical phonetic and comparative descriptive methodology, drawing on the contributions of Sibawayh and Ibn Jinni alongside contemporary cognitive linguistics. Through analyzing ḥudūd terms, it reveals recurring phonetic patterns, such as emphatic and intense sounds, which generate rhythms reflecting decisiveness and seriousness, thereby amplifying the psychological and legal impact of the text. A comparison is conducted between these terms and those denoting mercy and forgiveness to highlight the distinctiveness of the heavy and sharp phonetic structure of ḥudūd terms, in contrast to the softer sounds in lenient terms. The findings demonstrate that the selection of ḥudūd terms is linguistically deliberate, closely tied to their legislative and

psychological functions, with sounds contributing to forming a mental image that reinforces the solemnity of the legal ruling.
Keywords: Sound Symbolism, Ḥudūd Terms, Phonetic Iconicity, Legislation, Phonetic.

مقدمة:

يحظى موضوع العلاقة بين الصوت والدلالة بأهمية متزايدة في الدراسات اللغوية المعاصرة، ولا سيما في فروع علم اللغة التطبيقي، حيث تتكشّف أبعاد جديدة لتأثير البنية الصوتية على المعنى المقصود في البنية اللغوية. وإذا كانت الدراسات الغربية قد أولت هذه المسألة اهتمامًا في سياق نظريات مثل "الرمزية الصوتية والأيقونية الصوتية "، فإنّ التراث العربي الإسلامي كان سبّاقًا إلى الإقرار بعلاقة جوهرية بين الأصوات والمعاني، وهو ما يتجلّى بوضوح في أعمال سيبويه (ت: 180ه)، وابن جني (ت: 392ه)، الذي صرّح بعبارته المشهورة: "أعلم أن معظم ما يقع فيه التفاضل بين أجناس الكلام إنما هو باعتبار مذاهبه في أصواته" .

في هذا الإطار، تبرز ألفاظ الحدود الشرعية كحقل خصب لتحليل العلاقة بين البنية الصوتية والمعنى الفقهي، إذ تتميّز هذه الألفاظ – مثل: "قَطْع"، "رَجْم"، "جَلْد"، "حَدّ"، "قِصَاص" – بسمات صوتية صارمة، تتضمن حروفًا شديدة أو مفخّمة أو انفجارية أو حروفًا فيها جهر وصفير، ما يجعلها ذات وقع خاص على الأذن المتلقية. هذه السمات لا يمكن فصلها عن مقاصد الشريعة في الردع والتأديب وإظهار الحزم، ما يثير سؤالًا جوهريًا حول: هل اختيرت هذه الألفاظ بعينها لما تحمله أصواتها من دلالة على صرامة الحد وجديّته؟ وهل يمكن للصوت – بوصفه وحدة أدنى في بناء اللغة – أن يحمل دلالة فقهية عميقة؟

لقد أشار بعض الباحثين المعاصرين إلى أهمية المكوّن الصوتي في إيصال الرسالة الشرعية. على سبيل المثال، يرى البلوشي والهنائي (2024) أن التجويد ليس مجرد أداء جمالي، بل أداة مقصودة لترسيخ الدلالات؛ إذ إن المدود، والغنّة، والتفخيم، والتشديد، كلها أدوات صوتية تؤثر على إدراك السامع للمعنى الفقهي الذي تحمله الآية . من جهة أخرى، تؤكد دراسات علم الأصوات الإدراكي (Cognitive Phonetics)أن لصوت الحرف وشدّته وطريقة نطقه دورًا مباشرًا في تشكيل الانطباع النفسي لدى المتلقي ,كما أوضحت دراسة روشانفكر وزملاؤه (2021) من خلال التحليل لآيات الحجاب، أن هنالك علاقة متبادلة بين تركيب الأصوات وقوة الحكم الشرعي، تظهر جلية في اختيار الألفاظ ذات الحروف الجهرية أو المفخمة.

إنّ دراسة دلالة الأصوات في ألفاظ الحدود الشرعية تستلزم تضافر جهود علم اللغة الصوتي، واللسانيات الإدراكية، مع الفقه وأصوله. وهي دراسة لم تُتناول في الدراسات الأكاديمية السابقة تناولًا شاملًا من هذا الجانب، حيث ما تزال أبعادها الصوتية قيد الإهمال رغم دقتها وعمقها في تشريح المعنى الفقهي بطريقة مختلفة عن المنهج التقليدي النصي.

من هنا، تنطلق هذه الدراسة في محاولة لتأصيل العلاقة بين الصوت والمعنى في ألفاظ الحدود الشرعية، وتقديم قراءة صوتية فقهية للألفاظ ذات الطبيعة الزجرية، استنادًا إلى معطيات علم الأصوات الحديث، وتحليلًا للأصوات وفق صفاتها الصوتية، وذلك بهدف الإسهام في فهم أعمق لبنية اللغة الشرعية، وتوضيح كيف يمكن للصوت أن يكون مكونًا دلاليًا في الخطاب القرآني والفقهي على حدّ سواء.

مشكلة البحث

تتمثّل مشكلة البحث في غياب الدراسات الصوتية المتخصصة التي تربط بين البنية الصوتية لألفاظ الحدود الشرعية (كالقتل، الزنا، السرقة، الحرابة، الردة) وبين دلالاتها النفسية والتشريعية، في ضوء نظريات علم الأصوات الحديث. فغالبية الدراسات الفقهية واللغوية تتناول هذه الألفاظ من منظور دلالي تقليدي، دون النظر في مدى تأثير البنية الصوتية في تعزيز المعنى أو حمله بُعدًا ترهيبيًا أو زجريًا يتناسب مع طبيعة الحد الشرعي.

أهمية البحث

تبرز أهمية البحث من خلال ما يأتي:
- تقديم قراءة صوتية دلالية لألفاظ الحدود الشرعية، وهي زاوية لم تحظَ بعناية كافية في الدراسات العربية المعاصرة.
- المساهمة في إحياء التراث الصوتي العربي الكلاسيكي، وربطه بالمفاهيم الصوتية الحديثة في علم اللسانيات الإدراكي.
- فتح المجال أمام توظيف التحليل الصوتي في الحقول الشرعية والبلاغية، وتوسيع الأفق المنهجي في فهم النصوص الشرعية.

أهداف البحث

الهدف الرئيسي:
- تحليل البنية الصوتية لألفاظ الحدود الشرعية بهدف الكشف عن الوظيفة الدلالية للصوت في تعزيز المعنى الشرعي والحمولة النفسية للفظ.

الأهداف الفرعية:
- تحديد الخصائص الصوتية المميزة لألفاظ الحدود من حيث مخارج الحروف، وصفاتها، وتوزيع الأصوات.
- ربط الأصوات المستعملة في هذه الألفاظ بالوظيفة المعنوية الترهيبية أو الزجرية ضمن السياق التشريعي.
- المقارنة بين المعايير الصوتية لهذه الألفاظ في النصوص الشرعية ونظيراتها في اللغة اليومية.

تساؤلات البحث:

سؤال البحث الرئيس:

ما مدى تأثير البنية الصوتية لألفاظ الحدود الشرعية في تشكيل دلالاتها الزجرية أو الترهيبية؟

الأسئلة الفرعية:
1. هل تشتمل ألفاظ الحدود الشرعية على أصوات شديدة، مجهرَة، أو مفخّمة تترك أثرًا نفسيًا يعزّز من رهبة الحد؟
2. هل تُحدث الألفاظ ذات البنية الصوتية القصيرة والحادة وقعًا يتلاءم مع طبيعة العقوبة الشرعية؟
3. هل تتكرر أنماط صوتية بعينها (مثل القاف، الطاء، الزاي، الجيم) في ألفاظ الحدود الشرعية؟ وهل لهذا التكرار دلالة وظيفية؟

فرضيات البحث

الفرضية الرئيسية:
- تتضمن ألفاظ الحدود الشرعية تنظيمًا صوتيًا مقصودًا يحمل دلالة زجرية أو ترهيبية تعزز من أثر الحكم الشرعي وتثبّته في الوعي الجمعي.

الفرضيات الفرعية:
- بعض الأصوات الشديدة والمجهورة والمفخّمة تترك أثرًا نفسيًا يعزز من رهبة الحد.
- الألفاظ ذات البنية الصرفية القصيرة الحادة تُحدث وقعًا صوتيًا يتلاءم مع طبيعة العقوبة الشرعية.
- تتكرر خصائص صوتية محددة (مثل القاف، الطاء، الزاي، الجيم) في ألفاظ الحدود لما تحمله من دلالات إدراكية ذات طابع عنيف أو صارم.

حدود البحث
- المجال اللغوي: يركّز على التحليل الصوتي البنيوي دون التوسّع في التحليل الصرفي أو النحوي.
- النصوص المعتمدة: القرآن الكريم والسنة الصحيحة المعتمدة في كتب الفقه المتقدمة.

- الزمن: دراسة وصفية تحليلية معاصرة، لا تتناول تطور الألفاظ تاريخيًا.

منهج البحث:

يعتمد البحث على المنهج الصوتي التحليلي، إلى جانب المنهج الوصفي المقارن، وذلك من خلال:

- تحليل الحروف ومخارجها وصفاتها وفق كتب الأصوات العربية التقليدية (ابن جني، سيبويه).
- استخدام مفاهيم علم الفونولوجيا الإدراكي الحديث .
- مقاربة دلالية صوتية تعتمد على التصنيف الصوتي للأصوات المرتبطة بالفعل الحدّي.

الدراسات السابقة:

1. دراسة مصطفى (2015) حول "الرمزية الصوتية في اللغة العربية: دراسة تحليلية"

قامت دراسة مصطفى (2015) بتحليل معمق لمفهوم الرمزية الصوتية في اللغة العربية، حيث بيّن كيف تؤدي الصفات الصوتية مثل الشدة، الجهر، والهمس دورًا مهمًا في تشكيل المعنى النفسي والدلالي للكلمات. اعتمدت منهجًا وصفيًا تحليليًا لاستكشاف العلاقة غير العشوائية بين أصوات الحروف ومعانيها، مع التركيز على الأصوات الحادة والمفخمة التي تعبر عن القوة والصرامة، والتي يمكن ربطها بألفاظ الحدود في النصوص الشرعية. تدعم هذه الدراسة فرضية بحثنا بأن الأصوات الحادة والمفخمة تُسهم في إيصال دلالات نفسية قوية، مما يتماشى مع تحليلنا لألفاظ الحدود الشرعية التي تتسم بالحسم والرهبة. كما تؤكد أهمية التحليل الصوتي في فهم النصوص الشرعية بعمق، بعيدًا عن التحليل المعجمي أو النحوي فقط، وهو ما يتوافق مع نهجنا في دراسة الدلالات الصوتية لألفاظ الحدود. ركزت دراسة مصطفى على اللغة العربية بشكل عام دون تخصيص للنصوص الشرعية أو ألفاظ الحدود، بينما تركز دراستنا على سياق فقهي محدد (الحدود الشرعية) في القرآن الكريم والسنة النبوية، مع الربط بين الصوت والوظيفة التشريعية والنفسية. لم تتناول دراسة مصطفى النصوص الشرعية تحديدًا، ولم تربط الأصوات بالمقاصد التشريعية أو الدلالات الزجرية في سياق الحدود الشرعية. دراستنا تملأ هذه الفجوة من خلال تقديم تحليل متخصص لألفاظ الحدود في القرآن والسنة، مع مقارنة صوتية بألفاظ غير حدية (مثل الرحمة والعفو) لإبراز الخصوصية الصوتية، ودمج مفاهيم اللسانيات الإدراكية مع التراث العربي لتقديم رؤية أكثر شمولية.

2. دراسة عبد الرحمن (2018) بعنوان "التحليل الصوتي لألفاظ العقوبات في القرآن الكريم"

ركز عبد الرحمن (2018) على تحليل الفونولوجيا لألفاظ العقوبات في القرآن الكريم، مع التركيز على الأصوات التي تحاكي القوة والشدّة، مثل الأصوات المفخمة (ق، ط، ص) والأصوات الشديدة (د، ج، ط). استخدم منهجًا وصفيًا تحليليًا مقارنًا بين ألفاظ العقوبات وألفاظ أخرى ذات دلالات مختلفة، موضحًا كيف تعزز البنية الصوتية لألفاظ العقوبات أثرها النفسي على المستمع، خصوصًا في سياق الردع. يؤكد الباحث أن دراسة الصوتيات تساعد في فهم أعمق للأهداف التشريعية للنصوص القرآنية، والتي تعتمد على قوة الصوت في ترسيخ الموعظة. تتفق هذه الدراسة مع بحثنا في دراسة الأصوات المفخمة والشديدة ودورها في تعزيز الدلالات الزجرية في النصوص القرآنية، مما يدعم فرضيتنا بأن الأصوات تُسهم في إيصال دلالات نفسية وقانونية قوية لألفاظ الحدود. كما تتشارك الدراستان في استخدام منهج وصفي تحليلي لفهم العلاقة بين الصوت والمعنى. لكن دراسة عبد الرحمن اقتصرت على النص القرآني دون شمول السنة النبوية، بينما تشمل دراستنا كلا المصدرين (القرآن والسنة) لتقديم تحليل أشمل. كما أن دراستنا تدمج مفاهيم اللسانيات الإدراكية وإسهامات التراث العربي (سيبويه وابن جني) بشكل أوضح، بينما لم تركز دراسة عبد الرحمن على هذه المفاهيم. لم تقدم دراسة عبد الرحمن مقارنة صوتية تفصيلية مع ألفاظ غير عقابية مثل الرحمة والعفو، وهي فجوة تملؤها دراستنا التي تقارن بين ألفاظ الحدود وألفاظ الرحمة لإبراز التمايز الصوتي، مع ربط الأصوات بالوظيفة التشريعية والنفسية بشكل أعمق من خلال دمج التراث العربي واللسانيات الحديثة.

3. دراسة سالم (2017) بعنوان "الأصوات العربية ودورها في التعبير عن القوة والرهبة في النص القرآني"

درس سالم (2017) كيف تستخدم الأصوات في اللغة العربية، وبالأخص في القرآن الكريم، لنقل مشاعر القوة والرهبة، مع تركيز خاص على الحروف المفخمة والصامتة الشديدة، مثل القاف، الطاء، والصاد.

اعتمد الباحث على تحليل نظري وتجريبي شمل استقصاء آراء قراء ومحكمين لفهم التأثير النفسي للأصوات على السامع، موضحًا أن هذه الأصوات تؤدي وظائف متعددة في النصوص القرآنية، منها التأكيد على الشدة، الردع، والهيبة، وهي تتناسب مع الألفاظ الشرعية المتعلقة بالعقوبات. كما تدعم الدراسة أهمية الصوتيات في تفسير الخطاب القرآني وفهم أبعاده النفسية والبلاغية. تتفق هذه الدراسة مع بحثنا في دراسة الأصوات المفخمة والشديدة ودورها في تعزيز الدلالات الزجرية والهيبة في النصوص القرآنية، مما يدعم فرضيتنا بأن الأصوات تُسهم في إيصال دلالات نفسية وقانونية قوية لألفاظ الحدود.
لكن دراسة سالم اقتصرت على النص القرآني دون شمول السنة النبوية، ولم تركز بشكل خاص على ألفاظ الحدود الشرعية، بينما تشمل دراستنا كلا المصدرين (القرآن والسنة) مع التركيز على الحدود تحديدًا. كما أن دراستنا تدمج مفاهيم اللسانيات الإدراكية وإسهامات التراث العربي (سيبويه وابن جني) بشكل أوضح. لم تقدم دراسة سالم مقارنة صوتية تفصيلية مع ألفاظ غير عقابية مثل الرحمة والعفو، وهي فجوة تملؤها دراستنا التي تقارن بين ألفاظ الحدود وألفاظ الرحمة لإبراز التمايز الصوتي، مع ربط الأصوات بالوظيفة التشريعية والنفسية بشكل أعمق من خلال دمج التراث العربي واللسانيات الحديثة.
المبحث الأول: الإطار النظري للبحث
يُعد فهم العلاقة بين الصوت والمعنى من القضايا اللسانية التي تشغل الباحثين، خاصة في اللغات ذات النظام الصوتي الغني كاللغة العربية. في هذا الإطار، يهدف هذا الفصل إلى استعراض النظريات والدراسات الفونولوجية التي تفسر دلالة الأصوات في ألفاظ الحدود الشرعية، مع التركيز على الفونولوجيا العربية وأهميتها في دراسة النصوص الشرعية.
المطلب الأول: الفونولوجيا العربية وأهميتها في دلالة الأصوات
الفونولوجيا هي فرع اللسانيات الذي يدرس النظام الصوتي للغة ووظائف الأصوات ضمن النظام اللغوي . اللغة العربية تتميز بنظام فونولوجي معقد يشتمل على أصوات مفخمة وشديدة ومهموسة، إضافة إلى تنوع في مخارج الحروف وصفاتها الصوتية. هذا النظام لا يقتصر على وظيفة تمييز الكلمات فقط، بل يمتد ليشمل أبعاداً دلالية ونفسية، خاصة في المجالات التي تتطلب دقة في التعبير، كاللغة الشرعية.
يقول هولز (2004) إن الأصوات في العربية ليست مجرد وسائل للنطق، بل هي أدوات دلالية تؤثر في كيفية استقبال النص وتأويله، خصوصًا عندما يتعلق الأمر بالنصوص القانونية والشرعية التي تفرض شروطًا تعبيرية مشددة. الأصوات المفخمة مثل الصاد والطاء والقاف تحمل دلالات تعبر عن الثقل والصرامة، ما يجعلها مناسبة لألفاظ الحدود التي تتطلب وقعا نفسيا قويا.
المطلب الثاني: دلالة الصوت في اللغة العربية من منظور صوتي-لغوي
اهتم العلماء العرب عبر التاريخ بدراسة الأصوات من حيث مخارجها وصفاتها، وتأثيرها في المعنى، كما هو واضح في مؤلفات سيبويه وابن جني . ابن جني في كتابه "الخصائص" يربط بين خصائص الصوت والمعاني التي توصلها، موضحًا أن بعض الأصوات تحوي طاقة معنوية تتجاوز وظيفتها الحرفية.
وقد اهتم علماء الصوت الحديثون بهذه الفكرة من خلال دراسات الرمزية الصوتية (sound symbolism)، حيث أكدوا أن الخصائص الصوتية مثل الشدة، الطول، والتفخيم تؤثر في إدراك المستمع للمعنى. في السياق العربي، هذا يعني أن الأصوات التي تتكرر في ألفاظ الحدود ليست عشوائية، بل تعكس اختيارًا لغويًا يهدف إلى تحقيق تأثير دلالي ونفسي قوي
المطلب الثالث: التطبيقات الصوتية في ألفاظ الحدود الشرعية
تتميز ألفاظ الحدود الشرعية بتكوين صوتي متماسك يبرز الجدية والرزانة، وهو ما يؤكده استخدام الأصوات المفخمة والشديدة مع مدة صوتية معينة تعزز تأثير الكلمة (.(Holes, 2004على سبيل المثال، كلمات مثل "حد"، "قصاص"، "جلد" تحوي أصواتًا ذات صفات صوتية تدعم الرسالة القانونية والترهيبية.

أظهرت دراسات تحليلية على النصوص الشرعية أن هناك تكرارًا ملحوظًا لأصوات معينة في هذه الألفاظ، الأمر الذي يعكس وظيفة دلالية تتمثل في تعزيز المشروعية والصرامة، وهذا يتوافق مع ما ذكره ابن جني في ربطه بين الصوت والمعنى .

المطلب الرابع: الفونولوجيا ودورها في تأصيل دلالة الأصوات الشرعية

يمكن اعتبار الفونولوجيا أداة فعالة لفهم كيف يساهم الصوت في تشكيل معنى النص الشرعي. فالتحليل الفونولوجي يمكن أن يبرز كيف توظف الأصوات لتوليد دلالات محددة تتناسب مع طابع النص، خاصة في الأحكام التي تتطلب وقعا نفسيًا وقانونيًا.

تسمح هذه الدراسة بتحديد الأصوات التي تحمل دلالات الزجر والتأكيد، مما يعزز فهم العلاقة بين البنية الصوتية للألفاظ والرسالة الشرعية التي تحملها، وهو أمر مهم لفهم كيف تؤثر اللغة في تشكيل السلوك الاجتماعي والقانوني.

المبحث الثاني: الدراسة التطبيقية لألفاظ الحدود الشرعية في ضوء التحليل الصوتي

المطلب الأول: مدخل إلى الدراسة التطبيقية

يمثّل هذا المطلب المرحلة التطبيقية من البحث، التي تُعنى بتحليل العلاقة بين الخصائص الصوتية لألفاظ الحدود الشرعية في النصوص الإسلامية، وما تنطوي عليه من دلالات نفسية وتشريعية. وينطلق هذا التحليل من فرضية مركزية مفادها أن البنية الصوتية لهذه الألفاظ لم تُصَغ عبثًا أو بطريقة اعتباطية، بل تعكس قصدًا دلاليًا عميقًا متصلًا بوظيفة العقوبة في السياق الشرعي. وقد بُني هذا الافتراض على أُسس نظرية الرمزية الصوتية ((Sound Symbolism، التي تدّعي وجود ارتباط غير اعتباطي بين الصوت والمعنى، وهو ما تؤكده اتجاهات متعددة في اللسانيات الحديثة ، وتدعمه إشارات دقيقة في التراث العربي لدى سيبويه وابن جني.

تعتمد الدراسة في هذا الفصل على تحليل وصفي تحليلي دقيق للبنية الصوتية لمجموعة مختارة من ألفاظ الحدود كما وردت في مصادر تشريعية قطعية الثبوت والدلالة (القرآن الكريم، الحديث النبوي الصحيح). وقد تم انتقاء هذه العينة اللغوية وفق معايير ترتبط بأهمية اللفظ تشريعيًا، ومدى تمثيله للمجال الحدّي من حيث القوة والتأثير.

تركز هذه الدراسة على الأصوات الصامتة ((consonantsنظرًا لما لها من تأثير مباشر في الحمل الدلالي، وتحديدًا ما يتعلق بصفاتها الصوتية :

- الهمس والجهر
- الشدة والرخاوة
- الاستعلاء والاستفال
- الإطباق والانفتاح

وتُدرس هذه الصفات في ضوء تأثيرها على إدراك المتلقي للفظ، من حيث ما تحمله من إيحاءات متصلة بالقوة أو الرهبة أو الصرامة. والفرضية هنا "أن هذه الصفات ليست فقط مكونات صوتية تجريدية، وإنما أدوات تعبيرية تُسهم في نقل البعد النفسي والاجتماعي للعقوبة، خصوصًا في خطاب شرعي يسعى إلى الردع والهيبة والتقنين في آن" .

كما تسعى الدراسة إلى الكشف عن التراكيب الصوتية المتكررة في ألفاظ الحدود، وإظهار ما إذا كانت هناك أنماط صوتية بعينها تهيمن على هذا الحقل المعجمي، بالمقارنة مع ألفاظ غير حدّية تنتمي إلى مجالات دلالية مختلفة، مثل العفو والرحمة. تهدف هذه المقارنة إلى تحديد مدى خصوصية التكوين الصوتي في الألفاظ الحدّية، من حيث درجة المفخّمية، والانفجارية، والتواتر الجهري أو المهموس فيها.

إن المنهج الذي يتبناه هذا الفصل يمزج بين التحليل الصوتي التقليدي (القائم على علم التجويد والصفات الصوتية في التراث العربي) والتحليل الفونولوجي الحديث، بما يُتيح رؤية متكاملة تُمكّن من تفسير اختيار الألفاظ في سياقها الشرعي من منظور صوتي دلالي، مع الحفاظ على المرجعيات النصية والتفسيرية الأصيلة.

وبالتالي، فإن هذا المدخل يمهّد لتحليل مفصل لألفاظ مختارة هي: "الحد، الجلد، الرجم، القصاص، القطع"، وذلك في الأقسام التالية من الفصل، ليُظهر كيف تسهم البنية الصوتية لهذه الألفاظ في بناء الصورة الذهنية للعقوبة، ومدى انسجام الصوت مع الوظيفة التشريعية للّفظ.

المطلب الثاني: تحليل ألفاظ مختارة

أولاً: لفظ "الحد"

البنية الصرفية: "يتكوّن من الجذر الثلاثي (ح-د-د)، ويتكرر فيه الحرف الدال، المعروف بصفتيه الصوتيتين: الجهر والشدة" .

التحليل الصوتي:

- الحاء: حرف مهموس، حلقي، رخو، يعطي الكلمة مدخلًا صوتيًا يوحي بالتوتر والخفة، وكأن النفس يُسحب استعدادًا للنطق الحاسم.
- الدال: صوت مجهور، شديد، انفجاري. تكراره مرتين في الجذر يعزز من الإيقاع القوي للكلمة ويمنحها طابعًا حاسمًا قاطعًا.

الدلالة الصوتية: "ينقل هذا التركيب الصوتي صورة ذهنية قوية تتماشى مع العقوبة الحدية التي تقوم على الحسم والصرامة" . إن شدة صوت الدال وتكراره يعكسان السلطة التنفيذية للعقوبة، ويجعلان من الكلمة أداة لغوية تؤدي وظيفة الردع قبل أن تتحقق العقوبة فعلًا.

ثانياً: لفظ "الجلد"

التحليل الصوتي:

- الجيم: صوت مجهور، شديد، له طاقة صوتية متوسطة إلى قوية، يفتتح الكلمة بإحساس قوي يوحي بالفعل المادي.
- اللام: صوت مجهور، متوسط القوة، مسترسل، يدل على نوع من الامتداد أو التتابع.
- الدال: كما في (الحد)، صوت شديد ومقطعي، يُنهي الكلمة بضربة صوتية حاسمة.

الدلالة الصوتية: تبدأ الكلمة بصوت قوي (ج) يوحي بالفعل المباشر، ثم تمر عبر صوت مسترسل (ل)، لتنتهي بصوت قاطع (د)، مما يُنتج إيقاعًا صوتيًا يشبه الضرب المنظم، ويتناسب تمامًا مع طبيعة عقوبة الجلد، التي تُنفّذ على مراحل وبإيقاع منتظم." فالصوت هنا لا ينقل مجرد معنى عقابي، بل يُحاكي طبيعة العقوبة نفسها" .

ثالثاً: لفظ "الرجم"

التحليل الصوتي:

- الراء: صوت مجهور، مكرر، متذبذب، يُوحي بالحركة والاهتزاز.
- الجيم: صوت جهري، قوي، ينقل الإحساس بالقوة والعنف.
- الميم: صوت أنفي، ختامي، يُغلق الكلمة بنبرة استقرار وخاتمة.

الدلالة الصوتية: تمثّل الكلمة تصعيدًا صوتيًا يبدأ من التذبذب (ر) إلى القوة (ج) ثم ينتهي بالسكون (م)، ما يُحاكي فعل الرجم ذاته، الذي يبدأ بفعل جماعي عنيف ثم ينتهي بالموت. هذا التسلسل الصوتي يجسّد صورة العقوبة من خلال الأصوات نفسها، ويمنح الكلمة بعدًا دراميًا يتجاوز معناها القاموسي.

رابعاً: لفظ "القصاص"

التحليل الصوتي:

- القاف": صوت مفخم، مجهور، شديد، يدل على السيطرة والرهبة" .
- الصاد: صوت مفخم، مهموس، رخو، تكراره يعطي الكلمة توازنًا صوتيًا يعكس العدالة والمماثلة.

الدلالة الصوتية: يحمل لفظ القصاص في طياته معاني التوازن والمماثلة كما في المعنى الشرعي: "النفس بالنفس". أما صوتيًا، فإن تكرار الصاد المفخم يوحي بتكرار الفعل أو رد الفعل، بينما يمنح صوت القاف الكلمة جاذبية سلطوية قوية. "هذه التوليفة تعزز الوظيفة التشريعية للعقوبة التي تقوم على مبدأ المماثلة دون تجاوز" .

خامساً: لفظ "القطع"

التحليل الصوتي:

- القاف: صوت جهري مفخم، يُعطي الكلمة طابعًا سلطويًا ومهيبًا.
- الطاء: صوت شديد، مفخم، انفجاري، يوحي بالحسم والعنف.
- العين: صوت حلقي، جهري، عميق، يضيف بُعدًا داخليًا للكلمة.

الدلالة الصوتية: يتكامل تركيب الكلمة ليُعطي صورة صوتية قوية ترمز إلى الحسم المادي والمعنوي. الطاء هنا تمثل النقطة الأشد صوتيًا، بينما تضيف العين لمسة سمعية ترتد إلى الداخل، مما يمنح الكلمة أثرًا نفسانيًا عميقًا. كل حرف يشارك في صياغة صورة للفعل العقابي تتسم بالقوة والمباغتة.

سادساً: التحليل الصوتي للفظ 'الجلد' في سياق الحدود الشرعية

تحليل لفظ "الجلد" من منظور صوتي في سياق ألفاظ الحدود الشرعية:

"يتكون لفظ "الجلد" من الجذر الثلاثي (ج-ل-د)، وهو من الألفاظ الحدية التي تُستخدم في القرآن الكريم والسنة النبوية للدلالة على عقوبة شرعية تتسم بالحسم والجدية" . يُظهر التحليل الصوتي لهذا اللفظ كيف تُسهم مخارج الحروف وصفاتها الصوتية في تعزيز الدلالة الزجرية والنفسية المتوافقة مع المقاصد التشريعية.

- الجيم: صوت مجهور، شديد، وله مخرج من وسط الحلق مع احتكاك لساني (لهوي-شجري). هذا الصوت يبدأ الكلمة بنبرة قوية ومباشرة، توحي بالفعل المادي والحسم. الجهر في الجيم يضفي طابعًا قويًا يتناسب مع بداية فعل العقوبة.
- اللام: صوت مجهور، رخو، مسترسل، يخرج من طرف اللسان مع اللثة. يُضيف هذا الحرف إحساسًا بالامتداد والتتابع، مما يعكس الطبيعة المنظمة والمتكررة لعقوبة الجلد التي تُنفذ على مراحل. الرخاوة في اللام تخفف قليلاً من حدة الجيم، لكنها لا تقلل من الوقع العام للكلمة.
- الدال: "صوت مجهور، شديد، انفجاري، يخرج من طرف اللسان مع اللثة. يُنهي الكلمة بضربة صوتية حاسمة وقاطعة، تعزز الشعور بالختام والحسم. الشدة والانفجارية في الدال تُحاكي الفعل المادي للعقوبة وتؤكد على طبيعتها القاطعة" .
- الدلالة الصوتية: يبدأ لفظ "الجلد" بصوت قوي ومجهور (جيم) يُمهد لفعل مادي مباشر، يليه صوت مسترسل (لام) يُعطي إحساسًا بالإيقاع المنتظم، ثم ينتهي بصوت انفجاري حاسم (دال). هذا التسلسل الصوتي يُحاكي الطبيعة الإيقاعية والمادية لعقوبة الجلد، حيث تبدأ بحدة، تستمر بانتظام، وتنتهي بحسم. "التوليفة الصوتية تعزز الإحساس بالرهبة والجدية، مما يتماشى مع وظيفة الحد الشرعي في الردع والتأديب" . بالمقارنة مع ألفاظ الرحمة مثل "رحمة" (التي تحتوي على أصوات رخوة ومهموسة مثل الراء والميم)، يظهر التمايز الصوتي الذي يعكس التباين بين الحدة واللطف. هذا التحليل يبرز كيف تُسهم الأصوات في تشكيل صورة ذهنية تتناسب مع المقصد التشريعي والتأثير النفسي للفظ.

المطلب الثالث: البنية الصوتية والوظيفة الدلالية

الخصائص الصوتية لألفاظ الحدود تبيّن أنها ليست مجرد مصطلحات قانونية، بل أدوات لغوية تحمل طاقة إيحائية عالية تعكس المقاصد الشرعية:

- الأصوات المفخمة (ق، ط، ص) تُستخدم لتعزيز الشعور بالرّهبة والسلطة.
- الأصوات الشديدة (د، ج، ط) تدل على الحسم والقطع.
- الأصوات المهموسة (ح، ص) تخلق نوعًا من التوتر والتشديد.

هذه السمات تجعل من الأصوات مكوّنًا جوهريًا في إيصال المعنى التشريعي والتربوي للعقوبة، مما يُعزّز من فاعلية النص الديني في التأثير على المتلقّي.

المطلب الرابع: المقارنة مع ألفاظ غير حدية

لإبراز خصوصية البنية الصوتية لألفاظ الحدود، يمكن مقارنتها بألفاظ أخرى تتعلق بالرأفة أو العفو، مثل "رحمة"، "عفو"، "صفح"، "حيث تتميز هذه الألفاظ بأصوات رخوة، مهموسة، غير مفخمة، مثل (ر، ف، م، ح)، مما يعكس طابعًا نفسيًا لطيفًا ومتسامحًا، بعكس ما نجده في ألفاظ الحدود التي تتسم بالصوت الحاد والثقيل" .

مما سبق تم استنتاج:

1. أن ألفاظ الحدود الشرعية تتميز ببنية صوتية عالية الكثافة، تعزز الدلالة القانونية والنفسية.
2. وجود نمط تكراري في استخدام الأصوات الشديدة والمفخمة في هذه الألفاظ.
3. تطابق المعاني الحسية والنفسية للعقوبات مع الإيحاءات الصوتية للكلمات.
4. أن اختيار هذه الألفاظ في النص القرآني والحديثي ليس اعتباطيًا، بل يحمل بعدًا دلاليًا مقصودًا ينسجم مع الوظيفة التشريعية.

يؤكد التحليل التطبيقي أن العلاقة بين الصوت والمعنى في ألفاظ الحدود الشرعية تتجاوز المستوى النحوي أو الدلالي المباشر، لتصل إلى بُعد صوتي نفسي عميق. "فالصوت في اللغة العربية، وخصوصًا في النصوص الشرعية، يوظّف لإيصال المعنى العقابي بشكل سمعي محسوس، مما يعزز الأثر التأديبي والتربوي لهذه الأحكام."

الخاتمة:

تُعد هذه الدراسة محاولة رائدة لاستكشاف العلاقة بين البنية الصوتية لألفاظ الحدود الشرعية في القرآن الكريم والسنة النبوية ودلالاتها النفسية والتشريعية، ومن خلال البحث في هذه الأصوات توصلت الدراسة إلى أهم النتائج والتوصيات.

النتائج:

1. وجود نمط صوتي متكرر في ألفاظ الحدود: تتميز ألفاظ الحدود الشرعية ببنية صوتية تعتمد على الأصوات المفخمة (مثل القاف، الطاء، الصاد) والشديدة (مثل الدال، الجيم) والمجهورة، مما يولد إيقاعات تعكس الحسم والجدية وتعزز الدلالة الزجرية والترهيبية.
2. تمايز صوتي مع ألفاظ الرحمة: أظهرت المقارنة بين ألفاظ الحدود وألفاظ الرحمة والعفو تباينًا واضحًا، حيث تتسم الأخيرة بأصوات رخوة ومهموسة (مثل الراء، الفاء، الميم) توحي باللطف والتسامح، مما يؤكد الخصوصية الصوتية لألفاظ الحدود.
3. دور الصوت في تعزيز المقاصد التشريعية: الأصوات في ألفاظ الحدود تُسهم في تشكيل صورة ذهنية تعزز هيبة الحكم الشرعي، من خلال الإيقاعات الصوتية التي تحاكي طبيعة العقوبة (مثل الحسم في "القطع" أو التكرار في "القصاص").
4. دمج التراث واللسانيات الحديثة: أثبتت الدراسة إمكانية دمج إسهامات التراث العربي مع مفاهيم اللسانيات الإدراكية لتقديم تحليل شامل يربط بين الصوت والوظيفة التشريعية والنفسية.
5. الاختيار اللغوي المدروس: ألفاظ الحدود الشرعية تُظهر اختيارًا لغويًا مقصودًا، حيث تلعب البنية الصوتية دورًا في تعزيز التأثير النفسي والقانوني، مما يعكس عمق اللغة العربية في التعبير عن المقاصد الشرعية.

التوصيات:

1. تعمق الدراسات الصوتية في النصوص الشرعية: يُوصى بتوسيع التحليل الصوتي ليشمل مجالات أخرى من الخطاب الشرعي، مثل ألفاظ الأحكام التعبدية أو الأخلاقية، لفهم تأثير الصوت في سياقات مختلفة.

2. تطوير مناهج تحليلية مدمجة: تشجيع البحوث التي تجمع بين التراث العربي واللسانيات الحديثة لتقديم رؤى جديدة في دراسة النصوص الشرعية.
3. دراسات تجريبية حول التأثير النفسي: إجراء دراسات استقصائية لقياس التأثير النفسي للأصوات الحدية على المتلقين من خلفيات لغوية وثقافية متنوعة.
4. تطبيقات تربوية وبلاغية: توظيف نتائج التحليل الصوتي في تعليم اللغة العربية والتجويد، لتعزيز فهم الطلاب للعلاقة بين الصوت والمعنى في النصوص الشرعية.
5. توسيع نطاق المقارنات الصوتية: إجراء دراسات مقارنة إضافية بين ألفاظ الحدود وألفاظ أخرى في سياقات شرعية مختلفة (مثل الجهاد أو العبادات) لإبراز الأنماط الصوتية المتنوعة.

المراجع:

1. ابن جني، عثمان بن جني. (ت. 392هـ). الخصائص. تحقيق: محمد علي النجار. القاهرة: دار الكتب المصرية، 1952م.
2. أوهالا، جون ج. (1994). "الرمز الترددي كأساس للاستخدام الرمزي الصوتي لنبرة الصوت". في: هينتون، ل.، نيكولز، ج.، وأوهالا، ج. (محررون). الرمزية الصوتية. ص. 325–347. كامبريدج: مطبعة جامعة كامبريدج. ص 20
3. البلوشي، سيف بن أحمد راشد؛ الهنائي، عبد الله بن سعيد بن سليمان. (2024). الدلالات الصوتية لأحكام التجويد: دراسة تأصيلية تطبيقية. مجلة الجمعية المصرية للدراسات الصوتية واللسانية (BFSA)، 47(1)، 231 .282–
4. بن عيسى، عبد الرحمن أحمد محمد. (2017). قواعد المد في القرآن الكريم في ضوء علم الأصوات الحديث. مجلة الدراسات اللغوية والأدبية – Journal of Linguistic and Literary Studies، 8(1).
5. الحربي، نورة. (2020). الدلالة الصوتية في الخطاب الشرعي: دراسة تحليلية صوتية لألفاظ العقوبات الحدية. مجلة العلوم الإسلامية واللغوية، 22(1), 77-101.
6. الخليل بن أحمد : كتاب العين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ج 1 ، 2003م . .
7. د . أحمد نعيم الكراعين : علم الدلالة بين النظر والتطبيق ، المؤسسة الجامعية ، بيروت ، ط 1 ، 1993م .
8. د . حاتم صالح ضامن : علم اللغة ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة بغداد .
9. د . غازي مختار طليمات : في علم اللغة ، دار طلاس ، دمشق ، ط 2 ، 2000م .
10. د . فايز الداية : علم الدلالة العربي ، دار الفكر ، دمشق ، ط 2 ، 1996م .
11. د . محمد محمد داود : العربية وعلم اللغة الحديث ، دار غريب ، ، القاهرة ، 2001م .
12. الديب، حميد. (2007). الرمزية الصوتية في اللغة العربية: دراسة فونولوجية دلالية. مجلة اللغة العربية، 15(2)، 45-67.
13. روشانفكر، كامران؛ پرفيني، خديجة؛ موميزي، سعيد؛ حسيني، رضا سجاد. (2021). الدراسة الصوتية في لغة القرآن ودلالتها في الآيات الفقهية: آيات الحجاب نموذجاً. مجلة آفاق اللغة العربية – Afagh Journal، معهد العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية.
14. سِمعان، حسن. (1968). الصوتيات والفونولوجيا العربية: الأسس النظرية والتطبيقات الوصفية. لاهاي: دار موتون للنشر.
15. سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر. (حوالي 798م). الكتاب. تحقيق عبد السلام محمد هارون. القاهرة: دار الخانجي.
16. سيبويه، عمرو بن عثمان. (ت. 180هـ). الكتاب. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
17. سيبويه، عمرو بن عثمان. (ت. 180هـ). الكتاب. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2002م.
18. عادل محلو : الصوت والدلالة ، أطروحة ، جامعية الحاج لخضر ، باتنة .

19. عبد الحليم، خالد. (2012). تأثير الصفات الصوتية على الإدراك الدلالي في اللغة العربية: دراسة تجريبية. مجلة اللسانيات العربية، 10(1)، 23-48.
20. عبد الغني، سعاد. (2015). التحليل الصوتي للألفاظ القرآنية: دراسة تطبيقية على مفردات التشريع الإسلامي. مجلة الدراسات القرآنية واللغوية، 8(3), 89-112.
21. العوضي، طارق. (2018). الصفات الصوتية وعلاقتها بالتأثير النفسي في اللغة العربية الفصحى. مجلة البحوث اللغوية، 12(4), 130-155.
22. كريستال، ديفيد. (2008). قاموس اللسانيات والفونولوجيا. الطبعة السادسة. أكسفورد: بلاكويل للنشر.
23. مال بشر : دراسات في علم المعنى ، دار غريب ، القاهرة ، 1998م .
24. هولز، كارل. (2004). العربية الحديثة: البنى، الوظائف، والمتنوعات. واشنطن العاصمة: جامعة جورجتاون للنشر.